

التبيان في تفسير القرآن

(189) قوله تعالى: وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالامن إن كنتم تعلمون (81) آية بلاخلاف. في هذه الآية احتجاج من ابراهيم (ع) على قومه وتأكيده لما قدم من الحجج لانه قال لهم: وكيف تلزمونني ان اخاف ما أشركتم به من الاوثان المخلوقة وقد تبين حالهم، وانهم لا يضررون ولا ينفعون، وانتم لا تخافون من هو القادر على الضر والنفع بل تتجرؤون عليه وتتقدمون بين يديه بأن تجعلوا له شركاء في ملكه وتعبدونهم من دونه، فأي الفريقين احق بالامن: نحن المؤمنون الذين عرفنا الله بأدلتنا ووجهنا العبادة نحوه؟ ام أنتم المشركون بعبادته غيره من الاصنام والاثان؟ ولو أطرحتم الميل والحمية والعصبية لما وجدتم لهذا الحجج مدفعا. وقوله " ما لم ينزل به سلطاناً " أي حجة لان السلطان هو الحجة في اكثر القرآن، وذلك يدل على ان كل من قال قولا واعتقد مذهبا بغير حجة مبطل. وقوله " ان كنتم تعلمون " معناه ان كنتم تستعملون عقولكم وعلومكم وتحكمونها على ما تهوونه وتميل اليه أنفسكم. وفي الآية دلالة على فساد قول من يقول بالتقليد وتحريم النظر والحجج، لان الله تعالى مدح ابراهيم لم حاجته لقومه وامر نبيه بالاعتداء به في ذلك فقال " وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه " (1). ثم قال بعد ذلك: " اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده " اي بأدلتهم اقتده. _____

(1) آية 83 من هذه السورة.